

دور كتب اللغة العربية المدرسية في ترقية وتطوير اللغة العربية في الجزائر

الأستاذ: مسعي أحمد عمار

جامعة الجزائر2

Abstract :

Le livre scolaire est considéré comme un outil essentiel pour l'apprenant et l'enseignant ainsi; il contribue à préparer un citoyen armé de science et connaissance . il est aussi un point de repartition pour promouvoir la langue arabe à partir du re cyclage du livre scolaire par le biais du stock langagier arabe.

ملخص:

يعد كتاب اللغة العربية المدرسي من أهم وسائل التعليم وتمثل اللغة العربية قضية أمن قومي، واستثمار في الهوية الوطنية، ترتبط بها تنمية قدرات التلاميذ الإنتاجية، والاقتصادية، وأصبحت الكتب المدرسية قضية إعداد وتأهيل مواطنين مسلحين بالعلم والمعرفة والتكنولوجيا، ولأن أهمية الكتاب المدرسي في التعليم مسألة لم تعد اليوم محل جدل في أي منطقة من العالم. والتحول الذي بدا واضحاً عالمياً من الاستثمار المادي إلى الاستثمار الفكري الذي صاحبه تغيرات هائلة ومتواصلة في مطالب المجتمعات وتنافسها الشديد في العلوم والتكنولوجيا، وإصلاح كتب اللغة العربية يحقق النجاح في المجالات الاقتصادية، والصناعية، والتجارية، والتكنولوجية ويحقق الجودة الشاملة في مجال التعليم، للحصول على نوعية أفضل من التعليم، ولتخريج طلبة قادرين على ممارسة دورهم بصورة أفضل في خدمة المجتمع.

الكلمات المفتاحية: -الكتاب المدرسي -اللغة العربية -ترقية اللغة العربية -

مقدمة:

أولت وزارة التربية في الجزائر أهمية بكتب اللغة العربية حرصا منها على تطوير اللغة العربية وترقيتها والنهوض بها في ظل التنوعات الثقافية والحضارية في الجزائر ومن الأسباب الرئيسة التي نرها سبباً في ضعف اللغة العربية الضعف في الرصيد اللغوي للتلاميذ والجهل بمصادر مفردات اللغة وطرق استغلال هذه المصادر أو استخدامها ، كما أن منها عدم إتقان التلاميذ لقواعد اللغة و عدم إدراك الوظائف الأساسية لها كلغة للتواصل في جميع المناحي الحياتية كلها وعدم اقتصرها على الأدب والشعر فقط، ولقد لاحظنا أيضاً الهبوط الثقافي العام وعدم وجود ارتباط وثيق بمصادر التثقيف الرئيسة-الكتب- وخاصة المواد المقروة ، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى مختلفة المحاور تتعلق بالحياة المادية القائمة ومتطلبات الحياة العصرية التي تفرض مسميات جديدة لا يجد لها التلميذ ما يقابلها في اللغة العربية مما تحويه الكتب المدرسية المخصصة لتعليم اللغة العربية ، فيرمي اللغة العربية بالقصور والعجز، ويهجرها إلى غير رجعة إلى لغات أجنبية ومزيج من العامية واللهجات الوطنية التي يجدها تلي جميع احتياجاته اللغوية ،ومن الأسباب أيضاً الصراع الفكري والتذبذب الثقافي الذي يعيشه المجتمع الجزائري من تنوعات عرقية وثقافية يتجاذبها المغرضون هنا وهناك من أجل مكاسب سياسية ومطامع أجنبية ، وكذلك ما تشهده البلاد من تغيرات حضارية وأمور أخرى لا يتسع المجال لذكرها والتفصيل فيها . وبناء عن ذلك كله يحق لنا أن نتساءل عن الطرق والكيفيات الكفيلة التي تمكن الجميع- مدرسين ومتعلمين - من الاستفادة من الكتاب المدرسي ؟ وبالتالي ما هو موقع الكتاب المدرسي من هذه المظاهر الحياتية الجديدة والتطورات التكنولوجية الحديثة؟ وما هو دور الكتاب المدرسي من الوجهة التربوية و التعليمية واللغوية ؟ وكيف نستطيع من خلاله تحقيق الأهداف و الطموحات التي تنشدها الدول في مبادئها وأخلاقيها الأساسية؟.

و ينبغي في البداية أن نؤكد على قيمة الكتاب في كونه مصدر تثقيف وتوجيه وإرشاد وتوعية فهو الوسيلة الرئيسة التي يستعملها التلاميذ داخل حجرة الدراسة، ولدينا من الأمثلة على ذلك ما لا يعد ولا يحصى، فالكتب المتعددة التي غيرت مجرى المجتمعات والشعوب والأمم قد طبعت التاريخ بطابعها الخاص ورسمت في حقه

وأزمنتها علاماتها وأهدافها المتوخاة، ومن هنا كمثالٍ على ذلك كان القرآن الكريم كتاباً أساسياً كان منطقته الأساسي القراءة، واستطاع بشموليته وأبعاده أن يرسخ القيم والمثل العليا، كما كانت الكثير من الكتب في تصورها المحكم والدقيق ذات أبعاد ثقافية وسياسية واجتماعية وتربوية، ولذلك لا ينكر أحد الإعجاب والملازمة والمصافاة التي أولاهما الإنسان للكتاب، فهو أهم وسيلة تهتم بها المدرسة لتحقيق منها جميع أهدافها(1).

1- مفهوم الكتاب المدرسي:

يعتبر الكتاب المدرسي الوسيلة الأساسية التي يستعملها التلميذ داخل حجرة الدراسة لذلك كان محط اهتمام وزارات التربية والتعليم التي وجدت فيه الوسيلة الأساسية والمهمة التي ترسم بها سياسات الدول وأهدافها من التعليم، ونوعيته لذلك يعرف الكتاب المدرسي بأنه <<كتاب عرضت فيه بطريقة منظمة المادة المختارة في موضوع معين، وقد وضعت، في نصوص مكتوبة بحيث ترضي موقفاً بعينه في عمليات التعليم والتعلم. ومن هنا يتحتم على مؤلفه أن يستوثق من الأمور التالية:

أ- المادة المطلوبة في نطاق الموضوع المراد عرضه؟

ب- ما طبيعة الموقف التعليمي المحدد-وذلك بجانبه المتكاملين من تعليم وتعلم؟

ج- أي خطة تتبع لتقديم ذلك المحتوى في ذلك الموقف المحدد بحيث نصل إلى أقصى درجات الكفاية في الاستيعاب.>>(2)

والكتاب المدرسي المخصص للغة العربية من أهم الكتب التي تخضع لها الدول عناية كبيرة كونه يحافظ على الهوية الوطنية والحضارية للدولة ويعمل على نشر اللغة الرسمية واللغة الوطنية لتكون لغة التعامل اليومي ولغة التخاطب في الإدارات وبين أفراد الشعب، لذلك فإن الجهد المنصب على تأليف هذه الكتب سوف يؤثر حتماً على العملية التعليمية بصفة عامة فالكتاب المدرسي المخصص للغة العربية يعد من أهم العوامل المؤثرة في العملية التعليمية بالإضافة إلى كونه منهجية دعت إليها المعرفة البشرية فهو ليس مجرد وسيلة فاعلة وإنما هو صلب العملية التعليمية(3).

ويشكل كل من المعلم والتلميذ عنصران مهمان في العملية التعليمية، فالمعلم له الدور الأمثل في تنفيذ المحتويات التعليمية على الشكل المطلوب والوصول بالتلميذ إلى

الامتاع اللغوي من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من تأليف هذه الكتب، أما التلميذ فهو المتلقي أو المستودع الذي يتلقى ما يجده في الكتاب المدرسي بمعاونة المعلم من أجل تقويم لسانه وتوجيهه نحو الاستعمال الصحيح لمفردات اللغة العربية فدوره أيضاً مهم في تحقيق السياسة اللغوية التي تنشدها الدول من أجل المحافظة على اللغة العربية وعلى لغاتها الوطنية، ونظرا لما لها من أهمية للمعلم والمتعلم تلقى الكتب المدرسية اهتمام الباحثين والمربين باعتبارها دعامة أساسية للتعليم يعتمد عليه كل من المعلم والمتعلم(4).

والكتاب المدرسي التعليمي-كتاب اللغة العربية- هو أهم مصدر من مصادر المعرفة التي يعتمد عليها التلميذ في تعليمه الأول وتشكل المحاور التي ينشدها أهم المعلومات التي نريد من التلميذ أن يتعلمها في المبادئ الأساسية التي ينبغي للتلميذ أن يتزود منها، ولذلك يظل الكتاب المدرسي متمتعا بمكانة مرموقة ، فهو أهم مصدر من مصادر تعلم الطالب ، وهو سهل الاستعمال ، وقليل التكلفة، ويقدم الحد الأدنى على الأقل من محتوى المنهاج المطلوب ، ويمكن التحكم بعناصره الأربعة الأهداف والمحتوى والتقويم والأنشطة والطرق.(5)

ولابد أن نؤكد على أهمية الكتاب بوصفه الوسيلة الأولى التي استخدمها الإنسان للثقيف والتعليم في العالم، وسيظل أيضاً شاهداً على حضارتنا الإنسانية فلولا وجود الكتاب ما كان هناك علم أو تراكم معرفي يؤدي بالتالي إلى التطور والرقى الحضاري، وما كانت هناك اختراعات وإبداعات علمية وفكرية، يضاف إلى ذلك أن أية تقنية تعليمية أو إعلامية إنما تستمد مادتها ومعلوماتها من كتاب أو نص مكتوب، لذلك يشكل الكتاب الحد الأدنى من المواد المرجعية التي يجب أن يرجع إليها.(6)

والكتاب المدرسي المعد لتعليم اللغة العربية له وظيفة جوهرية فهو ذو صلة وثيقة بالمنهج التعليمي من حيث كونه الأساس الجامع للفرص التعليمية التي ينبغي على المتعلم بمساعدة المعلم أن يتعرض لها، فيأخذ منها ويضيف إلى ذات نفسه ويبني شخصيته فيكبر علماً ومعرفاً، ويمكن أن يوصف الكتاب المدرسي في الدول العربية انه مرادف للمنهاج وان المدرسة العربية في واقعها التعليمي تستخدم الكتاب المدرسي باعتباره مصدراً أساسياً ووحيداً للتعليم ،(7) وعليه يعتبر الكتاب المدرسي مهم في رسم السياسات اللغوية الهامة في الجزائر من أجل تحقيق الوحدة اللغوية في

ظل تعدد اللهجات العامية واللغات الوطنية على ضرار اللغة الأمازيغية واللهجات المتعددة لها. ويعتبر الكتاب المدرسي الصورة التنفيذية للمناهج الذي يبرز أهميته وقيّمته.(8)

2-2- فاعلية الكتاب المدرسي :

الكتاب بصفة عامة من أهم أدوات المعرفة ونشر الثقافة والحكمة والحفاظ على الفكر الإنساني من أن يضيع عبر الحقب والأجيال، ومن ثمة كان اختراع الكتاب حدثاً لم يسبق له مثيل، شعر الإنسان بقيمته الكبرى لحياته فقدره، ولا يزال يشعر به ويقدره في كل نواحي الحياة، مهما تعددت وتحضرت وأطاعت العلم والتقنية والحدثة، لذلك يعد الكتاب المدرسي أداة مهمة من أدوات التعليم، يفوق دوره دور بقية الوسائل المساعدة الأخرى كالسبورة ، الخريطة ، الصورة ... إلخ ، يلجأ إليه كل من التلميذ و المدرّس على حد سواء ، لأنه مصدر أساسي للمعرفة وسند مهم في طريقة الإعداد وتحصيل المعلومات، ولا يمكن بحال من الأحوال استبداله بغيره من الوسائل، والسبب في ذلك أن الكتاب المدرسي >> ليس مجرد وسيلة معينة على التدريس بل إنه صلب التدريس نفسه وهو الدرس بعينه ، وكل ما يستعان به في التدريس ، من الوسائل إنما هي أشياء تابعة للكتاب المدرسي ، معينة للتلاميذ على فهمه >>(9)

ويعرف فرنسوا ريشوداوا الكتاب المدرسي على أنه :>> عبارة عن وسيلة مطبوعة منظمة من أجل استعمالها في مسار تعليمي أو سياق تكويني معين ، تتميز بمحتوى ذي أبعاد ثقافية إيديولوجية وبمحددات علمية بيداغوجية وتعتمد أشكالاً للتواصل وتخضع في تنظيمها لمنهج معين >>(10) ، فالكتاب المدرسي وثيقة تربوية مكتوبة لعمليات التعلم و التعليم(11) ، و التي تجسد البرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية والموضوعة من أجل نقل المعارف للمتعلمين ، وإكسابهم بعض المهارات ومساعدة كل من المعلم و المتعلم على تفعيل سيرورة التعلم(12)

ويمثل كتاب اللغة العربية المدرسي الوجه المكتوب للغة العربية، كون اللغة منطوقة ومكتوبة ، وما يميز اللغة المكتوبة عن اللغة المنطوقة هو الثبات ، في حين أن اللغة المنطوقة تتميز بالتغير والتبدل تبعاً لحال المتخاطبين-قوانين الاستعمال- وتبعاً لميل المتحدثين للاقتصاد في الكلام والنطق مما يعتري هذه اللغة من سلبيات، وما يزيد من فاعلية الكتاب المدرسي في نفوس التلاميذ ويضفي على العملية

التعليمية طابع الفاعلية ، كلمته المطبوعة من حيث قيمتها ورسميتها التي قد تطغى أحيانا على مكانة المدرس نفسه >> فمع أنهم ينظرون إليه على أنه مصدر المعرفة ، فإن الكتاب المدرسي ينفرد بسلطان الكلمة المطبوعة ، وعظم تأثيرها ... ولذلك هو في نظر التلاميذ أقوى سلطة علمية لا يتطرق الشك إليها >> (13) لذلك لابد من الاهتمام بالكتاب المدرسي التعليمي وتنقيحه ووقايته من كل ما يدخل إليه من أخطاء فالتلميذ يتعلق بهذا الكتاب ولن يقبل أي طعن فيه من أي كان فهو المرجع الأساسي له.

فينبغي للوزارات المعنية بتعليم اللغة العربية أن تضع جهدها في تأليف الكتب المدرسية وإصلاح مناهج التعليم وتعهد هذه الكتب بالمراجعة والتنقيح ، وتدارك النقص والعثرات التي قد تحويها هذه الكتب وقد يتباين هذا النقص الذي نجده في هذه الكتب المدرسية المخصصة للغة العربية من دولة إلى أخرى ، وتختلف نسبة انتشارها بين قطر عربي وآخر ، تبعاً للاتجاه الثقافي ونسبة الوعي الفكري والقومي والمستوى التعليمي والجهد الذي تضعه وزارات التربية والتعليم في تأليف كتب اللغة العربية المدرسية و إخراجها وتأليفها ، وتبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات الحضارية التي تخضع لها البلاد أو يتفاعل معها المجتمع ، إلا أن لوجودها ولانتشارها بشكل عام سلبيات خطيرة تعود آثارها على التلاميذ-النشء-في المجتمع الجزائري وعلى مستقبله وهويته الحضارية .

3-الكتاب المدرسي والمتعلم :

يجد المتعلم-التلميذ- في الكتاب المدرسي التعليمي اللغة العربية النموذجية - الفصحى- التي يتخذها مثلاً يحتذي به في القول والعمل لذلك يحس التلميذ بنشوة كبيرة في ترديد الكلمات والعبارات التي يجدها في طيات هذا الكتاب ، ويقيس عليها معرفته اللغوية وبراعته التعبيرية ، فاللغة العربية التي يحتويها كتاب اللغة العربية التعليمي هي اللغة الرسمية التي تصلح للكتابة والمشافهة والكلام والتحاور بين المتخاطبين وبين المتحدثين باللغة العربية، لذلك إن الكتاب المدرسي يعد المصدر الرئيس للمعرفة بالنسبة للتلميذ إلى جانب معلمه ، ومرجعا أساسيا يعتمد عليه في إثراء معارفه وخبراته ، ويرجع إليه باعتباره سجلا مطبوعا وليس قولاً مسموعا(14) ومن الناحية النفسية يظهر اهتمام التلميذ بكتابته المدرسي إيمانا منه بأن معلوماته تكتسب صفة الصحة والرسمية ، ويؤكد ذلك ميله في كثير من الأحيان إلى

>> أن يقيس صحة ما يصل إليه من المعلومات و الحقائق من المصادر الأخرى بما فيها المعلم بمدى اتفاقها مع ما يقرأ في كتابه المدرسي <<(15) فالمحافظة على اللغة العربية في الجزائر تبدأ بالاعتناء باللغة التي كتبت بها الكتب المدرسية والحرص على أن تكون هذه اللغة سليمة سهلة بسيطة يجد فيها التلميذ كل ما يحتاجه من الكلمات والعبارات التي تلي احتياجاته اللغوية ، وتلي ما يحتاج إليه من الألفاظ والتعابير التي تستجيب للمستجدات الراهنة من المفردات الحضارية، والتعابير الدقيقة التي تؤدي الغرض المنشود منها في سهولة ويسر.

لذلك لابد أن يراعي كتاب اللغة العربية مستويات التلاميذ النفسية والعقلية والعمرية حتى يقبلوا عليه وينهلون مما يجدو فيه فما يؤلف لتلاميذ المرحلة الابتدائية يختلف بطبيعة الحال من حيث اللغة والأسلوب والتنظيم عما يؤلف لغيرهم من التلاميذ في المراحل الأخرى، فالتلاميذ لا يمكنهم فهم ما في الكتاب ما لم يكن ملائماً لمستوياتهم الثقافية والعقلية وممثلاً لواقعهم البيئي و الثقافي والاجتماعي.

4- الكتاب المدرسي والمحتوى التعليمي :

يكتب الكتاب المدرسي باللغة الرسمية أو اللغة الوطنية ، و يجب أن يكتب كتاب اللغة العربية التعليمي بلغة سليمة وبسيطة تستجيب للمستجدات العصرية وتواكب التطور الثقافي والحضاري الذي يعرفه العالم حتى لا تصاب بالعياف والعزوف عنها لكونها لا تلي أكثر متطلبات واحتياجات التلميذ اللغوية والتعبيرية وتركه ضحية غيرها من اللغات البديلة مثل العامية واللغات الأجنبية، فاللغة كما يعرفها أبو الفتح عثمان بن جني <<في أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم>>(16) لذلك وجب أن تتصف كونها مادة الكتاب المدرسي بالحدثة والعمق والشمول، وأن يكون ما يحتويه الكتاب من معلومات وحقائق ومفاهيم ومصطلحات ملائمة لمستويات التلاميذ العقلية، والثقافية، والاجتماعية، واللغوية في الصف والمرحلة الدراسية التي هم فيها وأن تكون موزعة توزيعاً عادلاً على أجزاء الكتاب وأن تراعي خصائص كل مرحلة من مراحل نمو التلاميذ <<فلا يكون الكتاب في المرحلة الثانوية مثلاً مختصراً لمرحلة الكتب العالية ، كما أن الكتب التي توضع للتعليم الابتدائي لا تكون مختصرة لكتب مرحلة الثانوي>>(17). ويجب أن تراعى في مواصفات مادة الكتاب المدرسي ما يلي: (18)

- 1-أن يكون محتوى الكتاب مسائرا للمستحدث والجديد في مجال العلم والمعرفة.
- 2-أن تكون العلاقة واضحة بين محتوى الكتاب وتنظيمه من ناحية، وأهداف المنهاج من ناحية أخرى .
- 3-أن تكون المادة التعليمية ملائمة لمستوى التلاميذ من حيث المفاهيم.
- 4-أن تراعي محتويات الكتاب الوضوح والتنوع .
- 5-أن تراعي المادة الواحدة التسلسل والترابط مع المواد الأخرى .
- 6-أن تواكب التطور الثقافي والحضاري الذي يشهده العالم في مجال اللغات.

5-الكتاب المدرسي والمعلم :

المعلم هو المحرك الأساسي في العملية التعليمية ، وهو المنفذ الرئيسي لمحتويات الكتاب المدرسي وأهداف المنهاج فدوره مهم جداً في العملية التعليمية ، ومحاولة انكار دور المعلم في تعليم اللغة العربية وفي أي عملية تعليمية لا يمكن أن يأتي بأي ثمار كون المعلم هو الأدرى بالمواصفات المطلوبة لإنجاح العملية التعليمية وتوجيه التلاميذ وارشادهم للاستعمال الأمثل والصحيح للكتاب المدرسي ، وهو بدوره يقدم القراءة المثلى والنموزجية للمحتويات الكتاب المدرسي، وهو يقدم اللغة العربية المنطوقة للتلاميذ في حين أن الكتاب المدرسي يقدم اللغة العربية المكتوبة، والمعلم يشرف على العملية التعليمية منذ بدايتها إلى نهايتها حتى تحقق الغايات والأهداف التي رسمت و ألفت من أجلها ولم يعد الحديث عن المعلم والدور الذي يلعبه ويقوم به في العملية التعليمية بالذي يقبل الجدول(19) ، فمعلم اللغة يستعمل الكتب المقررة ووسائل الإيضاح والمستندات البصرية وغيرها،(20) فيعتبر الكتاب المدرسي بالنسبة للمعلم وثيقة رسمية و أساسية تربطه بعمله التربوي وتحدد مسؤولياته أمام الجهات المسؤولة من جهة ، وأمام تلاميذه من جهة أخرى ، لما يحويه من مادة علمية مكيفة وفق الأهداف المسطرة لمرحلة دراسية ما ، فهو يحدد له مادة التدريس، ويعينه على توزيعها وتنظيمها ويمكنه أيضا من التدرج في إنجازها بخطى ثابتة ، ويوفر له مختلف الأنشطة التي تساعد على تبليغ المعرفة لتلاميذه وعلى تقييم المعلومات التي اكتسبها (21) ، كما يعتبر الكتاب المدرسي الموجه الذي يوضح للمعلم خطة العمل ، ويحدد له المستوى العلمي الذي لا ينبغي له أن يرتفع عنه ذلك لأنه >> يحدد طريقة التدريس أو على الأقل يوجهي بها ، والمدرس لا يملك إلا أن

يتأثر بطريقة التعليم التي يمكن أن تتماشى مع الكتاب المدرسي و التلميذ بدوره لا يملك إلا أن يتأثر بطريقة التعلم التي تستفاد من طريقة الكتاب المدرسي <<(22) والحقيقة أنه بالنظر إلى العلاقة بينهما ، فإن الكتاب المدرسي و المعلم يكمل أحدهما الآخر >> فكلهما متمم للآخر ولا تتوقف عليهما عملية التعليم فحسب ، بل إن كل تطور و تقدم في أساليب التعليم و طرائقه يتوقفان على مرونة الكتاب و المدرس <<(23).

والجدير بالذكر أن المعلم له الدور الأساس والمهم في تحريك وتوجيه عجلة التعليم والإشراف على العملية التعليمية فهو المنفذ الحقيقي للكتاب المدرسي والمناهج فمهما توافرت في الكتب المدرسية المواصفات و الأسس الفنية و العلمية المطلوبة فإن طريقة استخدامها من جانب المعلم و التلميذ على حد سواء >>تتوقف إلى حد كبير على المعلم نفسه ، وما يقدمه لطلابه من عون و توجيه يؤديان في النهاية إلى إقبالهم على قراءته و الاستفادة منه ، ويرتبط بهذا العامل فهم المعلم لطبيعة الكتاب المدرسي وحدوده وما يبذله من جهد و توجيه لطلابه بقصد استكمال ما قد يكون في الكتاب المدرسي من نقائص أو قصور <<(24) ، واللغة تفرض نفسها على لسان المعلم والأستاذ و كما أن دور المعلم في الوقت الحاضر قد تطور وذلك بحكم تعميم التعليم في جميع الأوساط.(25)

6-الكتاب المدرسي وتحديث لغته:

تحديث لغة الكتاب المدرسي أمر مهم يقتضيه التطور الهائل في جميع المجالات المفاهيمية التي يحتاجها المتكلمون باللغة العربية ولكي يحافظ الكتاب المدرسي على المكانة اللائقة به ويواجه التطورات المتسارعة في المفاهيم الحضارية، كون اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع للتطورات الاجتماعية وتواكبها خاصة وقد كثر الجدل حول اللغة التي يجب أن نعلم بها التلميذ؛ فقام بعضهم يدعوا بالقلم واللسان إلى تحييد اللغة العربية في التعليم الأولي أو في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي ، وإفساح المجال للغات العامية واللهجات الإقليمية على أساس أن التلميذ أكثر ارتباطاً باللغة العامية وأكثر نفوراً من اللغة العربية التي تمثل اللغة الثانية في بعض المناطق في الجزائر، وأصحاب هذا الرأي لا يدركون سلبية ما يدعون إليه لأن هذا الرأي يصب في مصلحة من يصبوا إلى تقويض وحدة الدولة الجزائرية وتفريقها بين لهجات

متعددة ولغات متفرقة تسود هذا الوطن ، وهم يدركون حقيقة دور اللغة العربية الفصحى في وحدتهم وفي تحقيق التواصل بين أبناء جلدتهم.

ومن هنا فإن الطريق الصحيح لتعليم العربية في الجزائر تحديث لغة الكتاب المدرسي عن طريق تعليم اللغة العربية الفصحى فحسب، ومواكبة هذه الكتب المدرسية وتحديثها بما يستجيب للغة العربية الفصيحة التي تواكب المستجدات الحديثة والعصرية ومن يجيد اللغة العربية الفصحى فسوف يفهم اللغة العامية ، ومن يتعلم اللغة العامية فإنه ليس بالضرورة يستفيد منها في تعلم اللغة العربية الفصحى بالقدر المناسب، ونضيف هنا أنّ تعلم اللغة العربية الفصحى أسهل من تعلم اللغة العامية بكثير ، وليس صحيحا ما يشاع من أنّ اللغات العامية أسهل من اللغة العربية الفصحى ، إلى جانب ذلك في الجزائر عاميات وليست عامية واحدة فقط، بينما اللغة العربية الفصحى واحدة ، واللغة العربية الفصحى التي ندعوا لأن تكون مادة الكتاب المدرسي هي اللغة العربية الشائعة والمستعملة في الوقت الحاضر، من خلال ما تم جمعه في المجامع اللغوية العربية ومن خلال ما تم جمعه في إطار الرصيد اللغوي الوظيفي ، والرصيد اللغوي العربي ، وقد يتعلل البعض بصعوبة ايجاد لغة عربية فصيحة تستجيب لما يحتاج إليه التلميذ في جميع المناحي الحياتية، وأن ايجاد هذه اللغة العربية الفصيحة الشائعة والمستعملة ليس بالأمر السهل، ورداً على هذا ندعوا صراحةً إلى التأليف بالرصيد اللغوي العربي والأرصدة اللغوية العربية الأخرى، فحياة الرصيد في استعماله وفي مدى تبنيه من طرف وزارات التربية العربية وغيرها من الكتب التي تعتمد لتعليم اللغة العربية، خاصة اذا ارتبط هذا التأليف بطرق تربوية مؤاتية ومشوقة، يجعل من حصّة القراءة حصّة ممتعة وترغيب دون مشقة أو عزوف، ويجعل كتب المطالعة الموجهة للأطفال عنصر تنمية وتلذذ، ويشمل التأليف بهذا الرصيد أيضا المعاجم الموجهة للأطفال والمشروحة شرحا بسيطاً ودقيقاً والمعززة بالرسومات والتعبيرات الحية المتداولة.(26)

7-أهمية الكتاب المدرسي:

تكمن الأهمية المرجوة من الكتاب المدرسي، في مقدار ما يترك من آثار وخبرات سلوكية وما يحدث من تغيير وتطوير على الطلبة ليعود بثمار هذه العملية على الناس عامة ، ويتم اختيار محتواه بناءً على بنود معيارية محددة وواضحة ومعبرة عن اهداف المرحلة المعدة والمسطر لها(27)، فإذا كانت وسائل التثقيف الأخرى

تصل الفرد بما يجري من حوله وتطلعه على معارف وخبرات ولغة أهل زمانه فإن الكتاب يصل الإنسان بماضيه وحاضره في ابعد عصوره وبالحضارات الإنسانية وباللغة في كل أطوارها ومراحلها. (28) فالكتاب المدرسي يمثل جانبا مهما من جوانب المنهاج المؤثر على الطلبة، فهو يسعفهم داخل الصف وحين لا يتمتع المعلم بما يؤهله للتدريس يصبح دليله وسنده الوحيد (29).

ومن هنا تأتي أهمية الكتاب المدرسي، فمما لاشك فيه أن الكتاب المدرسي كان ومازال هو المرجع الأساسي للمادة العلمية للطلاب والمادة التعليمية للمعلم، وكونه كذلك فهو ركن أساسي في العملية التعليمية و أكثر من مجرد أداة >>وقد يبدو الكتاب معيبا إلى حد كبير بوصفه أداة تعليمية إذا كانت الخبرات التخصصية للمدرس نفسه غير كافية . وفي مثل هذه الظروف يجب على الكتاب المدرسي أن يصبح أكثر من مجرد أداة مساعدة للمدرس ، عليه أن يصبح هو المدرس نفسه.>>(30)

فالمقرر الرسمي الذي تعتمد الدولة في نظامها التعليمي يكون في المادة العلمية المقدمة في الكتاب المدرسي والذي يمثل الترجمة الصحيحة للأهداف التربوية للعملية التعليمية ولسياسة التعليم في الدولة كما أنه الوسيلة لنقل الخبرات التربوية للمتعلم فمن هذه المنطلقات تأتي أهمية الكتاب المدرسي، مما يستلزم ضرورة الاهتمام به والبحث في أية عقبات من شأنها أن تحول بين الكتاب المدرسي وتحقيق أهدافه التربوية والتعليمية" ، فضلا عن هذا فإنه في المواقف التي لا يتمتع فيها المعلم بما يؤهله للتدريس ، والمحدودية التي يتسم بها إعدادهم أحيانا تمثل الكتب المدرسية معينا وسندا لا غنى عنها في عملية التدريس ، وذلك الدور الذي يؤديه بوصفه أساسا لعملية التعلم بطريقة منهجية(31).

ويعد الكتاب المدرسي معلماً تعليمياً مهماً يضم بين دفتيه المحددات العلمية والمعرفية اللازمة لكل من المعلم والمتعلم ، في إطار منهج دراسي خاص، وبالكيفية المقبولة، وهو بالنسبة للمعلم الراسم للطريقة المثلى لتحقيق الأهداف العامة وخاصة للمنهاج(32). ومما يميز الكتاب عن غيره ما يلي: (33)

2- أن الكتاب يسهل نقله وتوزيعه ونشره والحصول عليه كما يمكن استخدامه في كل زمان و مكان ، كما لا يحتاج استخدامه إلى طاقة كهربائية.

3- الكتاب رخيص السعر قليل التكلفة بالقياس مع الوسائل الأخرى.

4- الكتاب لا يحتاج في استخدامه والاستفادة منه إلى مهارات معينة يكفي مستخدمه القدرة على القراءة والفهم.

5- يعتبر الكتاب مصدرا أساسيا تعتمد عليه غالب الخدمات التي تؤديها أجهزة الاتصال الأخرى.

6- إذا كانت نسبة إغناء المحصول تتوقف على كمية القراءة فهي أيضا تتوقف على نوعية النتاج المقروء وقيمته من الناحية الفكرية واللغوية وعلى الإطار الذي يخرج فيه.

والواقع أن الاهتمام بالكتب المدرسية لابد ان يكون على مستوى المنهج والترتيب وتحديد الهدف والرؤيا. وحكمنا عليها الآن لن يكون بعيدا عن الاعتبار الأساسي لاطراد العلوم والمعارف الإنسانية والمتغيرات اليومية و الحياتية التي تمر بالطفل ، بدليل أن هذه الكتب تبقى الوسيلة الأساسية في المدرسة رغم التطور الهائل في التكنولوجيات الحديثة ، وبدليل أيضاً أن قضاياها وإن كانت صالحة، فهي تفتقر إلى الأسس التربوية والنفسية للمتعلمين ومراعاة ظروفهم الاجتماعية والبيئية والحاضر الذي يعيشونه بكل أبعاده وملابساته، وبدليل أن جل هذه الكتب لا تراعي الضبط اللغوي والنحوي، فالأخطاء متعددة، والحوار بين هذه الكتب والمستفيد منها يكاد يكون منعدما لما فيها من التعقيد والغموض أحيانا والركاكة والابتذال أحيين أخرى. فالكتاب المدرسي لم يعد مجرد مستودع لطائفة من المعلومات الجاهزة المتراكمة، كما لم يعد يختلف عن الكتب العامة في الحجم فقط، ولا يكون مجرد تلخيص أو اختصار لما في الموسوعات والمطولات، فلا بد من تطوير لغته والنهوض بها حتى تخلو من الغموض والتعقيد، ولا ان يتسم أسلوبه بالعدوية والسلاسة والإشراق، ويصبح عاملا مساعدا على استقامة تعبير التلميذ والرفع من مستوى إنشائه، فلا يكتف بالحقائق يشرحها شرحا شفويا يبقها في نطاق التجريد والعموم، وإنما يعزز ذلك بالصور الملونة الزاهية والخرائط الموضحة الكاشفة والرسوم البيانية المعبرة.

هذا هو الكتاب المدرسي الذي ينبغي ان تعمل اللجان المؤلفة وتحرص على وجوده حتى يحقق الاهداف المرجوة منه ، وشتان بين هذا وذاك، فكل الندوات واللقاءات التربوية والتعليمية وكل الدراسات والأبحاث تثبت بشكل جلي وواضح ما

تتعرض له اللغة العربية من التحريف والتشويه وما يلحقها من التقصير بسبب سوء التأليف في هذه الكتب .

بالرغم من أن هذه اللغة العربية التي-التي نريد تعليمها- كتبت بها الكتب المدرسية من أجل تعليمها وترقيتها والنهوض بها لتجابه المتغيرات الحاصلة في الميادين الحياتية الجديدة والمتسارعة ذات جذور حضارية وتاريخية عميقة بوائها المكانة المرموقة عبر الحقب التاريخية واستطاعت أن تكون وعاء للفكر الإنساني تحفظه من الزوال والتلف والضياع، بالرغم من ذلك-من سلبياتها- فإنها في الكتب المدرسية تعاني من سوء الاخراج والتأليف ، ليس في هذه الكتب المدرسية فقط بل كتب اللغة نفسها تبدو ركيكة وجافة ومعقدة تسعى فقط إلى إثبات قواعد ونتائج دون أن تكون هذه اللغة منسقة وملائمة ومعبرة عن خفايا وخبايا هذه القواعد نفسها من خلال نصوص ومختارات موحية ومشبعة بقضايا إنسانية. وتبعا لذلك تلهث هذه الكتب وراء تحقيق هذه البغية دون مراعاة القضايا التربوية المهمة والتي تتمثل أساسا في صرف المتعلم عن القاعدة الأساسية وذلك بوقوفه وتساولاته عن الأخطاء الواردة في ثنايا هذه الكتب، ذلك أن اللغة أداة مهمة ووسيلة لا غنى عنها.

ولذلك كان الكتاب المدرسي دعامة تربوية أساسية موجهة إلى الناشئة من التلاميذ يجدون بين دفتي البرنامج الدراسي المقرر الخاص بتدريس اللغة العربية الوعاء الذي يحوي المادة التعليمية التي يفترض أنها الأداة أو إحدى الأدوات على الأقل التي تستطيع أن تجعل التلاميذ قادرين على بلوغ أهداف المناهج.

خاتمة:

وينبغي أن نذكر في الأخير أن الدعوة إلى تطوير اللغة العربية التي تمثل اللغة الوطنية في الجزائر، و التي ترسم بها الدولة الجزائرية سياستها اللغوية الداخلية والخارجية، وترقيتها والنهوض بها في ظل منافسة اللغات الأجنبية واللهجات المحلية يقوم أولا وقبل كل شيء على توجيه عنايتنا بالكتب المدرسية من خلال رصد كل ما يتعلق بسبل ترقية وتطوير هذه الكتب ، والحرص على ان تكون اللغة المنشودة واضحة وسهلة بسيطة وشائعة يستطيع الطفل من خلالها التعبير عن جميع النواحي الحياتية التي ينشدها دون ان تكون هذه اللغة عقبة في طريقه ، بل هي السبيل الوحيد والسهل في تحقيق التواصل باللغة العربية على أساس كتاب اللغة

العربية المدرسي الموحد الذي يقرأه التلميذ وكل من يساعده من المربين والمعلمين والأباء وغيرهم. إضافة إلى ذلك نؤكد مرة أخرى على ضرورة الاستفادة من الخبرات العلمية والابحاث الأكاديمية الجامعية في ميدان تعليمية اللغة العربية ، والاستفادة من المنجزات العربية الرائدة في مجال جمع اللغة العربية الشائعة على ضرار الرصيد اللغوي الوظيفي والرصيد اللغوي العربي والذخيرة اللغوية ، والتأليف في الكتب المدرسية باستعمال هذا الرصيد الذي يستعمل الشائع والمستعمل، ويساعد المؤلفين على اختيار اللغة المناسبة والمشاركة التي تحقق التواصل بين الناطقين باللغة العربية في الجزائر وباقي الدول العربية.

الهوامش:

- ¹- ينظر مصطفى بغداد، الكتاب المدرسي بين الايجابيات والسلبيات، دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة ، الرباط، المغرب ، العدد 238، ص1.
- ²- ينظر أحمد أنور عمر: الكتاب المدرسي تأليفه وإخراجه الطباعي، مترجم عن الإنجليزية، دار المريح ، (د ط)، الرياض ، 1980. ص09.
- ³- ينظر عبيد راشد عليمات: تقويم وتطوير الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية ، دار الحامد، ط1، الأردن ، 2006. ص23
- ⁴- ينظر المرجع نفسه، ص29.
- ⁵- ينظر المرجع نفسه، ص29.
- ⁶- ينظر المرجع نفسه، ص29.
- ⁷- ينظر المرجع نفسه، ص29.
- ⁸- ينظر المرجع نفسه، ص30.
- ⁹- ينظر أبو الفتوح رضوان وآخرون : الكتاب المدرسي ، فلسفته، تاريخه ، أسسه ، تقويمه ، استخدامه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (د ط)، (د م)، 1962 م ، ص07 .
- ¹⁰- F . richaudeau , conception et production des manuels scolaires , guide pratique, paris , UNESCO , 1979 , p 51
- ¹¹- ينظر - محمد زياد حمدان :تقييم الكتاب المدرسي ، نحو إطار علمي في التربية ، دار التربية الحديثة ، (د ط)، الأردن ، 1997 م ، ص 07.
- ¹²- ينظر -محمد الصالح حثروبي : نموذج التدريس الهادف ، أسسه و تطبيقاته ، دار الهدى ، (د ط)، الجزائر، 1997 م ، ص80.
- ¹³- ينظر - أبو الفتوح رضوان وآخرون: المرجع السابق ، ص 04.

- ¹⁴- ينظر- محمد السعيد باشموس : " الكتاب المدرسي " ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للعلوم التربوية ، مركز النشر العلمي المملكة العربية السعودية ، المجلد الثالث، 1990 ص 246.
- ¹⁵- ينظر- أبو الفتوح رضوان وآخرون: المرجع السابق ، ص 04.
- ¹⁶- ينظر- أبو الفتوح عثمان ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د م)، الجزء الأول ، 1952، ص 33.
- ¹⁷- ينظر محمد رفعت رمضان وآخرون : أصول التربية وعلم النفس ، دار الفكر العربي، ط 4، القاهرة ، 1957 م ، ص 250.
- ¹⁸- ينظر-عبير راشد عليمات : المرجع السابق ، ص 35.
- ¹⁹- ينظر- رشدي أحمد طعيمه : معلم التعليم الأساسي والكبار ، كفاياته إعدادة تدريبه تقويمه ، علم تعليم الكبار ((كتاب مرجعي)) ، إدارة برامج التربية ، (د ط) ، تونس ، 1998 ص 228.
- ²⁰- ينظر عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، (د ط) ، تونس ، أوت 1986، ص 141.
- ²¹- ينظر- مجموعة من المؤلفين : محاضرات ملتقى الكتاب المدرسي و النظام التربوي ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، (د ط)، الجامعة التونسية ، 1985 م، ص 230.
- ²²- ينظر- أبو الفتوح رضوان وآخرون : المرجع السابق ، ص 08.
- ²³- ينظر - محمد رفعت رمضان وآخرون : المرجع السابق ، ص 242.
- ²⁴- ينظر- محمد السعيد باشموس : المرجع السابق ، ص 245.
- ²⁵- ينظر- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر، (د ط)، الجزء الثاني، الجزائر، 2007، ص 99-100.
- ²⁶- أنظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي ، (د ط) ، تونس 1989 ، ص 21.
- ²⁷- ينظر-عبير راشد عليمات : المرجع السابق ، ص 30.
- ²⁸- ينظر- محمد أحمد المعتوق : الحصيلة اللغوية -أهميتها -ومصادرها-وسائل تنميتها ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد: 212، (د ط)، الكويت ، أغسطس 1996. ص 104.105.
- ²⁹- ينظر-عبير راشد عليمات : المرجع السابق ، ص 30.
- ³⁰- ينظر أحمد أنور عمر : المرجع السابق ، ص 14.
- ³¹- ينظر أحمد أنور عمر : المرجع نفسه ، ص 7.
- ³²- ينظر -عبير راشد عليمات : المرجع السابق، ص 30.
- ³³- ينظر- محمد أحمد المعتوق : المرجع السابق، ص 105.